Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شأناً فى ذلك الحين . غير أن الحماس الأحمق أصاب المنهج . وكلما أصبح المقياس أكثر إيجازاً ، والتطبيقات أكثر سذاجة ، اتضح شىء مزعج ، وهو أن تكثيف الرؤية يتم على حساب التعمق فيها . ففى كتابه « مذكرة فى النقد الأدبى » (١٩٣٦) نقد جيمس فاريل James Farrel زملاءه الماركسيين نقداً قاسياً بسبب تناولهم للمشكلة تناولاً خفيفاً يدل على جهل . وكذلك فعل إدموند ولسن E. Wilson الذى هجر جماعتهم . ومع أن تين وماركس – بصفة خاصة – كانا معلميه الناصحين فإن ولسون انضم إلى المهاجمين بمقالته « الماركسية والأدب » التى نشرها فى « الثالوث المفكر » سنة ١٩٣٨ . وأخيراً أدى التحالف الروسى الألمانى ، واندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، والاضطراب الذى نتج عن ذلك ، والخروج على كثير من المريدين ، أدى كل هذا إلى أن تفقد الحركة قوتها المركزية ، وتوقفت عن أن تكون قوة رئيسية فى النقد الأدبى .

ولكن تطرف هذا الزيغ النقدى لم يقوض شرعية دراسة الأدب دراسة اجتماعية . فإذا كان الناقد لا يستطيع أن يعالج مؤلفا أو عملاً أدبيًا فى تعقل ، طبقاً لمذهب معين مثل : الأمريكية ، أو البروليتارية ، أو الاشتراكية ، أو الرأسمالية ، أو نحو ذلك ، فإن وضع العمل الفنى إلى جوار النظرية الاشتراكية بما يتسم بالتعقل والإنصاف يمكن أن يقدح ومضات تضىء إضاءات أصيلة وصادقة . إن كعب أخيل ، أو نقطة الضعف فى النقد الاشتراكى – من الناحية الأخلاقية العامة – تكمن فى مجال الحكم ، أى فى الغواية الهزلية التى تغرى بمدح أو شجب عمل أدبى طبقاً لمقدار ما يحمله من تضمينات اجتماعية أو أخلاقية تتفق ومعتقدات الناقد . فلسنا – على سبيل المثال – فى حاجة إلى استنكار « كوميديا عصر الأحياء » كما فعل إل . س . نايتس[٧] ، بدعوى أنها ليست مرتبطة تماماً بأهم أفكار عصرها ، ولكن إذا ما استعرضنا ذاك الكم من الكتابة بتذكر أن إسحٰق نيوتون ، وسيرتوماس براون ، وكذلك جون بنيسان كانوا يشكلون – بوسائلهم الخاصة – المناخ الثقافى ، فإننا سنرى تلك الدراما الكوميدية فى ضوء جديد . وهذا – فى الحقيقة – ما يفعله كبار النقاد الاشتراكيين . فهم يضعون العمل الأدبى فى المناخ الاجتماعى ، ثم يحددون هذه العلاقة . فإذا ما صدر التقدير هزيلاً جدًّا فمن المحتمل أن يدل ذلك على وضع الناقد الأخلاقى ، كما يدل بصفة أبعد على التميُّز الداخلى لهذا العمل .

---

(٧) Explorations Essays in Criticism Mainly on the Literature of the 17th. Century 1946.